

## الاستقامة والأمن الاجتماعي في نسك الحج

الغاية من تشريع الحج

الحج عبادة من العبادات التي بُنيت عليها الشريعة الإسلامية في الجنبه العبادية، إذ أنّ العبادات بأجمعها شُرِّعت لربط الإنسان بالمبدأ المتعال من خلال الرؤية السليمة التي تجعل العبد ينظر إلى الله تعالى في جميع أعماله وأقواله، فيصبح على تقوى من الله تعالى، خصوصاً في الحج كما أبانت ذلك الآية المباركة التي أوردناها بالتركيز على أمرين:

الأول: الانضباط في السلوك

الحج فريضة تؤكد على جنبه هامة هي، ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾، فالآية تبين الانضباط السلوكي من لدن الحاج، وهذا هو تقوى الله تعالى، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾، فالله عليم ومحيط بكل شيء، والعامل يسعى للارتقاء في عالم المبادئ والقيم، وإيضاح هذا المطلب نشير إلى أنّ العلماء يؤكدون وجود أزمة بين الإنسان وأخيه الإنسان من ناحية، وأزمة بين الإنسان والطبيعة من ناحية أخرى، وإذا استطاعت الإنسانية أن تتحلى بالقيم سوف تزول الأزمة ويتلاشى الجانب الذي يمثل الشر في الإنسان تجاه أخيه الإنسان أو تجاه الطبيعة.

الثانية: الحج دافع نحو الاستقامة

والإنسان لا يمكن أن يستقيم إلاّ من خلال العقل والارتباط بالحق تعالى، وهذا ما يحققه الحج، فالعبادة تصبح سبيلاً للوصول إلى عالم تسوده القيم باعتبار أنّ هذه العبادة عبادة جماعية، فالحاج لا يرتبط بالتقوى من الناحية الفردية مع نفسه فحسب، بل يكون تقياً مع المجتمع الذي يعيش فيه، ومع الناس الذين يتعامل وإياهم، وبذلك تزول أزمة القيم، وهذا ما ركّز عليه العلماء عندما قالوا: إنّ الإنسان يحتاج إلى انتماء اجتماعي، فلا يمكن أن يعيش بمفرده، غير أنّ هذا الانتماء تارةً يكون ضيقاً وأخرى يكون واسعاً، والانتماء الضيق هو الذي يمثله الإنسان بارتباطه بمبدأ خاص يدعوه إلى التمركز حول ذاته أو فئته، وهذا هو الانتماء الضيق، أما الانتماء الواسع فهو الانتماء إلى الباري تعالى باعتباره الخالق للكون والراعي لشؤونه.



وهنا ندرك معنى البركة والهداية للعالمين، وليس للعالم الإسلامي وحده، بل لكل العالمين، وذلك من خلال ما يحققه البيت الحرام من مكاسب وفوائد نوجزها في الآتي:

### الأول: الأمن والبركة

الحاج المسلم مسؤول عن أمن المجتمع الإسلامي بل عن أمن المجتمع الإنساني، وعندئذ يمكنه أن يستوعب معنى الحج، ويعي ما يريده الله تعالى، إنَّ أَوْسَلَ بَيَّتِ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَيْكَةِ مَبَارَكًا، والبركة هي الزيادة والنماء.

### الثاني: الهداية العامة

البيت الحرام هداية لكل العالمين، فالهداية تأخذ طابعاً أشمل من الهداية للمجتمع الإنساني بمعنى أن يتقاطع المجتمع الإنساني مع بقية المجتمعات التي تعيش حتى مع عالم الحيوان في علاقة يسودها الوئام، وقد أشارت بعض الروايات إلى تحقق هذا في عصر الإمام المهدي (ع) فعندما يخرج يسود الأمن كل عوالم الوجود حتى عالم الحيوان، وهذا وإن كان يبدو عجيباً، غير أن الأمن والعدل كفيلاً بتحقيق الوئام، وينبثق مما طرحه القرآن الكريم، فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا، فالأمن هدف وغاية من تشريع الحج.

### القرآن والأمن الاجتماعي

وهناك آيات تركز على الأمن للمجتمع الإسلامي أولاً ومن ثمَّ للمجتمع الإنساني بأكمله، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْوَهْدِيَّ وَلَا الْإِقْلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَدْتَعُونَ فَضُلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ [المائدة:2]، فالآية مرتبطة بالحج وتوضح أن التعاون بين أفراد المجتمع على البر والتقوى، وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ

وَالْعُدُوَّانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ والمسلم عندما ينظر إلى معطيات الحج سيرى أن من أهم ما يترتب على الحج الأمن في المجتمع الإسلامي، ومن ثم الإسهام بتحقيق الأمن بين أفراد المجتمع الإنساني.

## الجهاد وأمن المجتمع

وحتى الجهاد في الشريعة الإسلامية شُرِع لتحقيق الأمن فبعض الفقهاء في مدرسة أهل البيت (ع) يشير إلى أن الجهاد شُرِع دفاعاً عن مبادئها، فالجهاد دفاعي كله، وعليه لا يحق لأحد أن يهجم على الغير، وإنما يحق له الذود والدفاع عن نفسه فحسب، و ۝ تعالى يريد للمجتمع الإنساني أن يعيش الأمن والأمان ويتعاون على البر والتقوى، ليتحقق التعااضد بين أفراد المجتمعات الإنسانية جمعاء، فالتعاون على البر - العطاء الواسع - لم يُقيد في الآية، وهذا يسهم في بناء المجتمع الإسلامي، ۝ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ۝، ثم أبانت الآية نهى الباري تعالى عن التعاون على الإثم والعدوان، وهذا معطى من معطيات الحج، إذ أن الحج يُبين لنا ماذا يريد ۝ تعالى من الحاج، وقد أُكِّد معنى الأمن في آية أخرى قال تعالى: ۝ إِزْمًا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الدِّينَةَ الَّتِي كُنْتُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝ «النمل:91»، فالآية تبين مقاصد الحج من كون العبادة ۝ تعالى الذي جعل الأمن والأمان لهذا البلد الطيب مكة، وهو المالك لملكوت السماوات والأرض، ۝ وَلِلَّهِ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْوَاسِعِينَ ۝، والأمر بأن يكون من المسلمين يقصد به الاستسلام ۝ تعالى بالمعنى الواسع، ولا يختص بالإسلام بمعناه العقدي وهو التشهد بالشهادتين.

## الفهم السليم للحج

الحج في جانبه المعنوي يحمل روح التغيير على المستوى النفسي والسلوكي، وينعكس على فهم الحاج فتجد البعض يعي ذلك فيقول: أنا حجت ولن أفعل حراماً أو أقترف قبيحاً، مما يعني أن مكوّن العقدي قد شكّل له فهماً سليماً، يمكنه من العيش بوثام مع الآخرين، والسير في صراط عبودية ۝ تعالى.

نسأل ۝ تعالى أن يجعلنا ممن يحج البيت الحرام ويحقق مقاصد هذه العبادة العظيمة في تغيير سلوكه إلى تقوى ۝ تعالى، والإسهام بالأمن والأمان لمجتمعنا الإسلامي أولاً وللإنسانية جمعاء، وصلى ۝ وسلم وزاد وبارك على سيدنا ونبينا محمد وآله أجمعين الطيبين الطاهرين

